

ليسوا استعماراً تاريخياً لبني إسرائيل ليكون لهم شيء يسحق حقوق بني إسرائيل، وذلك أكانت أرض بني إسرائيل أصلاً في فلسطين أو في غير فلسطين. (ص ١٢). فالدقوق التاريخية لا تسمح بوصول بزوالها (الصفحة نفسها)

ولاقاة البرهان على ما ذهب إليه، قام الصليبي برحلات بحثية خاصة إلى الأماكن والمدن والقوى التي وردت اسمائها في التوراة. وعمل على التناوب اللغوية بين هذه الاسماء - (كما وردت مضمبوطة في التوراة بالحرقة العبرية. وبين أسماء أماكن تاريخية أو حالية في جنوب الأدجان، وفي بلاد عسير) مأخوذة أما عن قدامى الجغرافيين، ومنهم الحسن الهمداني. صاحب 'صفة جزيرة العرب'. وياقوت الحموي صاحب 'معجم البلدان'. أو عن المعجم الجغرافي للمملكة العربية السعودية، الذي بدأ في الظهور العام ١٩٧٧، وقد قام بجمعه عدد من العلماء السعوديين. [منهم] حمد الجاسر وحمد العفيل وعبدالله بن خديس وعبد بن صالح السلوكي الزهراني. أضاف إلى ذلك 'معجم الحجاز' و'معجم قبائل الحجاز' اللذين صنفهما، المقدم عاتق بن عيث البيلاوي، و'معجم قبائل المملكة العربية السعودية' الذي صنفه الشيخ حمد الجاسر، (ص ١٢ - ٦٤). ومصادر أخرى قيمة في هذا المجال.

ولم يعتمد المؤلف على المغاربة وحدها، فهي لا تكفي لإثبات ما يريد قوله. وعنى الباحث، في مثل هذه الحالة، أن يأخذ في عين الاعتبار، المسائل المتعلقة بالطبوغرافيا والجيولوجيا والمعادن والمياه والحيوانات والنباتات. وهو ما فعله الكاتب، الذي أورد مثلاً لمنهجه هذا يتعلق ببدني سدوم، وعمورة، التاريخيتين. يقول الصليبي: [إن] البرهان القاطع على أن سدوم وعمورة لم تكونا بلدين قديمتين على شاطئ البحر الميت في فلسطين، هو عدم وجود أثر لبراكين قديمة هناك. [ذلك إن] الغاز التي أخربت (سدوم وعمورة) على ما نقله التوراة، كانت ولا بد ناراً بركانية. فإذا وجد الباحث [هاتين البلدتين] بالاسم في غرب شبه الجزيرة العربية، فإن عليه أن يتأكد من وجود بركان، أو آثار بركانية بالقرب من المكان، (ص ٦٥ - ٦٦).

تطبيقاً لهذا المنهج، يقدم الصليبي في الفصل الرقم ٣ عن كتابه الذي بين أيدنا تلخيصاً مكثفاً لجغرافية أرض عسير، التي هي أرض التوراة العبرية، كما يقول. ومن خلاله قدم مسحاً طبوغرافياً للمنطقة، وأتى على مظاهرها الطبيعية الرئيسة، وتضمن ذكراً لأهم منتجاتها الزراعية وثروتها الطبيعية. وكان ذلك مقدمة للتأكد من طبيعة المنطقة التي افترضها المؤلف. أرض التوراة القديمة، ومدى صحة مطابقتها لها. وفي هذا المجال، ترك الصليبي مناقشة الجانب التاريخي للتوراة ومدى صحته، واعتبره أمراً مسلماً به، ورفض، من البداية، صحة جغرافية التوراة التي جرى اعتمادها عبر آلاف السنين، وأخذ على عاتقه مناقشتها في ضوء الافتراضات التي وضعها واعتماداً على أدواته البحثية الكثيرة.

قبل أن يبدأ في سرد براهينه على مدى الدقة في مطابقة جغرافية التوراة العبرية لجغرافية غرب شبه الجزيرة العربية، يحاول الصليبي إرجاد البرهان على مدى ضعف مطابقة تلك الجغرافيا لجغرافية فلسطين أولاً. ويورد في هذا المجال مثلاً واحداً - للتدليل ليس إلا - على بادية جرار (جزر) في النص التوراتي العبري) التي يفترض، أنها ازدهرت في القدم في جوار [مدينة] غزة بساحل فلسطين، في موقع غير بعيد عن بحر السبع، (ص ٨٥) ليصل إلى استنتاج ينفي، كلية، وجود مثل هذه البلدة التوراتية، بينما يثبت وجودها في المنطقة الجغرافية الأخرى، أي في غرب جزيرة العرب، حيث يوجد أكثر من 'جزر' في عسير، القرارة. قرب خميس مشيط، المذكورة في سفر التكوين ٢٠ و ٢٦، وفي أخبار الأيام الثاني ١٤. و (جرار والجرار، وجرار والفوارة بين جبل بني مالك وسراة بالأحمر) وهي المذكورة في سفر التكوين ١٠. وفي الحالتين يورد الصليبي كلاً من هاتين التسميتين قروناً بمواقع أخرى قريبة جرى التحقق من صحة وجودها في تلك المناطق، ولكنه يميل إلى جرر ثالثة من 'جررات' عديدة هناك. على أن الأهم من ذلك كله والذي يشدد عليه المؤلف يبقى عدم وجود أي أثر لجرر التي ذكرت التوراة القديمة أنها تقع في جوار غزة على الساحل الفلسطيني.

بعد هذا العرض المركز لفاهيم، التي تشكل في مجموعها نظرية الكتاب، وغراضه، في توضيح غواص التاريخ التوراتي، سنحاول التعرف، بمعنى تطبيقي، على البراهين الأساسية لما ذهب إليه